اللغة العربية ومتغيرات إنتاج المعرفة في المجتمع العربي

مقاربة لسانية اجتماعية

المتدخل : أ.د أحمد حساني

جامعة الوصل. دبي.

توطئة:

إنَّ أدنى تأمل في المسار التحولي للغات، والثقافات، والحضارات عبر الحقب الزمنية المختلفة يهدي بكل يسر إلى أنَّ الأنظمة اللغوية كانت حاضرة حضورًا فاعلا في تشكل العلوم والمعارف، فما فتئت اللغات ترافق سيرورة المنجز الفكري في البناء الحضاري للإنسان؛ فاستحالت إلى مكون أساس من مكونات إنتاج المعرفة، على اختلاف الأنساق الاجتماعية والثقافية التي تنتمي إليها؛ فالمعرفة في تجلياتها في عرف البشر هي معطى لغوي. ومن ههنا فإنَّ تشكل المعارف، والعلوم في المجتمع الإنساني ترافقه قوة فاعلة للغات بجميع روافدها، ومكوناتها، وأنساقها. فأمست اللغة عندئذ، وظيفة، وليست وسيلة فحسب؛ فهي وظيفة جوهرية في إنتاج المعرفة، وتنظيمها، وتصنيفها.

كما أنَّ اللغة من هذا المنظور ليست وسيلة للتواصل فقط، بل هي وسيط لبناء نمط التفكير لدى البشر؛ إذْ إنَّها نسق منظم من العلامات والقواعد؛ فهي تُكوِّن بنية التفكير، والتمثل، والإدراك لدى أفراد المجتمع، وتؤثر في طريقة تشكل رؤيتهم لعالم المعرفة. وهي من ههنا عنصر مؤثر في تطور المعرفة لدى الأفراد والمجتمعات؛ فظلت تهيئ السبيل لتفسير الأنساق المعرفية للفكر الإنساني، وفهمه، ونقله، وتصديره، والترويج له . لتسهم في في تحقيق التطور العلمي، والمد الثقافي والحضاري في أرقى مستوى له.

وتأسيسًا على هذ التصور فإنَّ مواكبة سيرورة إنتاج المعرفة؛ من حيث هي معطى فكري، ومنحز إنساني، تقتضي امتلاك

الكفايات، والقدرات، والمهارات الكافية للتفاعل المنهج والواعي مع المعرفة لإدراك منطلقاتها الإبستمولوجية والفلسفية والفكرية من جهة، وتمثل جهازها المفاهيمي، ومنجزها الفكري لتوظيف معطياتها، واستثمار منجزاتها من جهة أخرى.

وفي ظل هذا التوجه كان الانصراف في هذه الورقة البحثية التي نحن بشأنها إلى مقاربة موضوع: "اللغة العربية ومتغيرات إنتاج المعرفة في المجتمع العربي" باعتماد المنهج الإجرائي للسانيات الاجتماعية. تستهدف هذه الورقة حينئذ، حضور اللغة العربية في إنتاج الأنساق المعرفية، والكشف عن القدرات التي تملكها. تلك القدرات التي تؤهلها لمرافقة المنجز المعرفي في المجتمع العربي، وتعززه ليسلك سبيله الحضاري المتوخى. باستخدام جميع الوسائط المتاحة في ظل المتغيرات التي تشهدها أنظمة المعلومات، والتكنولوجيات الذكية.

أسئلة المداخلة:

ترتكز هذه الورقة البحثية على أسئلة استراتيجية نذكر بعضها ههنا لأهميته:

- ما الأسس المعرفية، والمنطلقات المنهجية للمقاربة اللسانية الاجتماعية؟
- كيف يمكن لنا تفعيل مكونات النظام اللغوي العربي، لمرافقة إنتاج المعرفة في المجتمع العربي؟
- هل البيئة العربية الاجتماعية الحاضنة مهيأة لإدماج اللغة العربية في منظومة مجتمع المعرفة ؟
- ما المسارات التي يمكن لنا اتخاذها لمعرفة المنجز العلمي العربي، ليواكب المشروع النهضوي للمجتمعات العربية، وتعزيز سيرورة التنمية المستدامة؟

تعد هذه الأسئلة مرتكزات فاعلة في تشكل مسار اللغة العربية في عالم المعرفة المتغير، وهي تهيئ الأرضية المعرفية،والمنهجية في توجيه المداخلة التي نحن بشأنها، وتحديد مسلكها، باعتماد المقاربة اللسانية الاجتماعية.

أهداف المداخلة:

تروم هذه المداخلة تحديد آفاق أهدافها، ورسم معالم مسارها منذ البدء، لإيجاد إجابات علمية كافية للأسئلة الاستراتيجة للمقاربة المعتمدة في هذا المقام. نذكر بعض هذه الأهداف ههنا لأهميتها:

- تشخيص الوضع اللغوي العربي في مسار تشكل المعرفة في المجتمع العربي.
- رصد التحديات التي تواجه اللغة العربية، في مرافقتها لإنتاج المعرفة،وتحويلها، والترويج لها، وتسويقها.
- وضع الآليات والوسائط الناجعة لتمكين اللغة العربية من احتواء المنجز العلمي العالمي، وإعادة صياغته،وإدماجه في الأنساق اللغوية والاجتماعية والثقافية العربية.
- استثمار سياسة التخطيط اللغوي، والدراسات المستقبلية، والاستشرافية لترقية اللغة العربية، وتحيينها، وتمكينها من مواكبة المنجز المعرفي المحلي، والإقليمي، والعالمي.
- تعزيز المحتوى الرقمي العربي، وتفعيله، وإثرائه باستمرار، وتدعيمه بروافد الحوسبة والرقميات والتكنولوجيات الذكية .

أولا: اللغة وتشكل المنجز المعرفي الإنساني:

مما لا يغرب عن أحد هو أنَّ اللغة في عرف البشر تعد نسقًا من العلامات، يوجد بصفة مضمرة في أذهان أفراد المجتمع اللغوي، يسمح لهم بتمثل العالم، وإدراك مكوناته المعقدة، وصياغة المنجزات الفكرية، وتبادلها مع الآخرين على اختلاف الأنساق الاجتماعية والثقافية بشكل ممنهج، ومنظم؛ فتستحيل اللغة عندئذ إلى وسيط مادي حامل للمعرفة، والثقافة، والحضارة بوجه عام.

ومن ههنا فإنَّ المعرفة من حيث هي منجز إنساني لا يمكن لها أنْ تتكون، وتمارس تأثيرها، وتسلك سبيلها بمعزل عن الأنساق

اللغوية المرافقة لمسارها، والمعززة لوجودها. وما كان ذلك إلا لأنَّ المعرفة في حقيقة أمرها معطى لغوي بامتياز؛ فعن طريق اللغة يتأسس البناء الفكري، وإنتاج المنظومة النظرية، والمفاهيم والتصورات، وتتحدد أطر التفكير والتصنيف، ويتعمق منهج المعرفة وتنظيمها. وهذا كله يؤدي إلى ترسيخ المعرفة في الفكر الإنساني عن طريق التمثل، والإدراك، والاستدلال، والتحليل المنهج، والتفكير الناقد. فتكتسب المعرفة آليات التنظيم، والتحليل، والترتيب بطريقة منطقية تسهم في تنمية القدرات الفكرية، وتحديد النماذج العقلية، وتعميق المعرفة، وتيسير استمراريتها، وديمومتها، وانتقالها من جيل إلى آخر.

يجمع كثير من الباحثين على أنَّ العلوم والمعارف الإنسانية تحدد من منظور نظرية المعرفة (Epistemology)عن طريق ثلاث وظائف كبرى:

- **الوظيفة التكاملية** (التكامل بين المعارف الإنسانية مكون جوهري).
- **الوظيفة الحوارية** (التلاقي والتواصل بين المعارف الإنسانية ضرورة اقتضائية) .
- **الوظيفية التجاوزية** (المعارف الإنسانية تتجاوز حدود التخصص؛ فهي عابرة للحقول بكل امتياز) .

والمفكر الذي أُولِعَ إيلاعًا شديدًا بهذا التصور لأصول المعرفة في نطاقها الفلسفي، والفكري هو **هانس روبرت ياوس** (Hans Robert Jauss) ()(1921 . 1997) الذي ما فتئ ينتصر لهذا المبدأ. ويتجلى هذا واضحًا في بحثه الموسوم بـ: نموذجية العلوم الإنسانية في حوار التخصصات. وَرَدَ هذا المبحث في مؤلفه الشهير: سبل الفهم (Wege des Verstehens) الذي نشر في آخر حياته سنة 1994، تضمن المبحث الذي نحن بشأنه دعوة صريحة إلى ضرورة إعادة تعريف العلوم الإنسانية عن طريق وظائفها، ومن أهمها الوظيفة التكاملية، وهي الوظيفة التي تنماز بها المعارف الإنسانية. فلابد لنا حينئذ، من مد الجسور بين مختلف المناهج؛ لننتهي بالضرورة إلى ترسيخ مبادئ الحوار، والتعايش، والتلاقي، والتقاطع بين التخصصات العلمية.()

ومن هذا المنطلق فإنَّ التفكير في اكتساب المعرفة هو التفكير في امتلاك نظامها الشمولي الذي يحتويها من حيث هي كل متجانس؛ فلا نجزئ المعرفة إلى وحدات مفككة منفصلة؛ إذْ إنَّ " الحقيقة الجزئية لا تعد حقيقة ما لمْ يطابق نظامها نظام الأجزاء الأخرى، وإذا أردنا أنْ نبلغ الحقيقة فلابد من العمل على أنْ تكون كل أجزاء المعرفة متسقة على نظام واحد". ()

وبناء على ذلك فإنَّ إدراك المعرفة من حيث هي منجز فكري إنساني لا يتحقق بمعزل عن معرفة العلاقات النسقية التي تنظم مكوناتها الجزئية؛ فتحديد المعرفة هو في الواقع " تحديد علاقات الأشياء بعضها ببعض حتى إذا كثرت هذه العلاقات إلى الحد الذي يجعلنا نعلم جميع العلاقات بين جميع الأشياء أصبحت المعرفة بالحقيقة كاملة ". ()

وما يمكن لنا الإشارة إليه في هذا المقام هو أنَّ اللغة أضحت ركنًا ركينًا في بناء الأنساق المعرفية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية؛ فهي الحامل المادي للرؤى والتصورات والخبرات التي تنحو نحو صناعة الأفكار، والمعارف في مجتمع صناعة المعرفة؛ لأنَّ " المعرفة أصبحت صناعة في حد ذاتها، ومدخلاً أساسًا من عناصر الاقتصاد الجديد، ومن خلال ذلك، وبشكل متزايد أخذت اللغة بعدًا علميًّا اقتصاديًّا جديدًا إلى جانب البعد الثقافي والحضاري الذي كانت تضطلع به دائمًا". ()

ويمكن لنا تحديد علاقة اللغة بالمعرفة الإنسانية في العناصر الآتية:

- **التواصل المعرفي**: تسهم اللغة في نقل الأفكار، والمعلومات، والخبرات ونشرها بين الأفراد والمجتمعات.
- **تشكيل الأفكار والمفاهيم**:تسهم اللغة في تشكيل الأفكار والمفاهيم، وتنمية المنجز المعرفي، وتعزيزه.
- **تنظيم المعرفة**: تسهم اللغة في تنظيم المعرفة، وترتيب المعلومات، وهندستها بشكل منطقي ممنهج.
- **توثيق المعرفة**: تستخدم اللغة في توثيق المعرفة عن طريق رقوم الكتابة، وإنشاء المدونات، والنصوص لتخزين المنجز المعرفي

لتتحقق استمراريته وديمومتة.

وفي ظل هذا التصور لعلاقة اللغة بالمعرفة تنصرف جهود الباحثين اللسانيين والاجتماعيين إلى معرفة الأسس المعرفية، والمنطلقات المنهجية لعلاقة اللغات بتشكل المعارف والعلوم في الثقافة الإنسانية، بتحليل العوامل الثقافية ، والاجتماعية المباشرة وغير المباشرة لتحديد مدى تأثيرها في إنتاج المعرفة، وتطورها. وذلك باتخاذ مقاربات لسانية – اجتماعية ولسانية – ثقافية تضطلع بإيجاد إجابات كافية لكثير من التساؤلات التي تشغل بال المفكرين اللسانيين، والاجتماعيين على حد سواء.

ثانيًا: اللغة العربية وتحديات مجتمع المعرفة:

نستهدف في هذا المبحث الكشفَ عن وضع اللغة العربية في حركة التحولات المتسارعة لمجتمع المعرفة بمتغيراته، ومساراته العلمية، وتأثيراته في تشكل عالم اللغات العالمة، ومتغيرات عالم المعرفة والاقتصاد، وتفعيل أنظمة المعلومات، وتحيين التكنولوجيات الذكية والرقمية ، وتحديثها باستمرار، والسير بها نحو بناء اقتصاد المعرفة الذي استحالت فيه اللغة إلى وسيط لإنتاج المعرفة، وتسويقها والترويج لها؛ إذ إنَّ مركز الاستقطاب في تشكل مجتمع المعرفة هو اللغات العالمة (ومنها اللغة العربية) التي ترافق سيرورة المعرفة من البدء إلى المآل .

يعد مجتمع المعرفة (La société du savoir/ The knowledge society) مرحلة فاعلة في تاريخ تشكل المجتمعات الإنسانية عبر الحقب الحضارية المختلفة؛ فهي مرحلة متميزة بتعاقب الأنماط الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية في المجتمع البشري. " تنفرد هذه المرحلة المتميزة بسلطة اقتصاد المعرفة مقابل الاقتصاد الصناعي الذي كان مهيمنًا في المرحلة الاجتماعية السابقة. ومن هنا ينعت مجتمع المعرفة بمجتمع ما بعد الحداثة، أو مجتمع ما بعد الصناعة؛ فأضحت المعرفة حينئذ، صناعة قابلة للإنتاج، والتحويل، والترويج. باعتماد جميع الأنظمة المعلوماتية، والوسائط الرقمية المتاحة، وبمرافقة الأنظمة اللغوية من حيث هي الحامل المادي للمعرفة." ()

و كان تقريرُ التنميةِ الإنسانيةِ العربيةِ (2003) قد حدد مفهوم مُجْتَمَعِ المعرفةِ؛ فهو: "ذلك المجتمع الذي يقوم أساسًا على نشر

المعرفة، وإنتاجها، وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد، والمجتمع المدني، والسياسة، والحياة الخاصة، وصولا إلى ترقية الحالة الإنسانية باطراد؛ أي إقامة التنمية الإنسانية ".()

ويكون حريًّا بنا ههنا أنْ نشير إلى أنَّ مجتمع المعرفة ينعت عادة بالموجة الثالثة في مسار تشكل المجتمع الإنساني" فهي مرحلة جديدة من مراحل تطور المجتمع البشري، تلت المرحلة الصناعية، وهي ما أطلق عليها (ألفين توفلر Alvin Toffler)() السوسيولوجي الأمريكي (اسم الموجة الثالثة)، انطلاقًا من أنَّ البشرية قد عرفت في تاريخها حضارتين سابقتين هما: موجة عصر الزراعة، وموجة عصر الصناعة، وها هي ذي اليوم تدخل عصر المعرفة ." ()

وأصبح شائعًا في منظومة المفاهيم والمصطلحات الحديثة أنَّ مفهوم مجتمع المعرفة قد ترافقه بعض المفاهيم الأخرى التي تلازمه .منها:

1 . مجتمع المعرفة.

2 . المجتمع المعلوماتي.

3 . مجتمع الحاسوب.

4 . مجتمع ما بعد الصناعة.

5 . مجتمع ما بعد الحداثة.

6 . مجتمع اقتصاد المعرفة.

7 . المجتمع الرقمي.()

ترتكز هذه المرحلة (المرحلة الثالثة) من مراحل تشكل المجتمع البشري (التي تنعت أحيانًا بمجتمع ما بعد الصناعة) على قاعدة فكرية "تقوم على نظرة للعلم بصفة خاصة، والمعرفة الإنسانية بصفة عامة؛ فهي نظرة تسعى لاكتشاف أوجه الشبه والتلاقي بين الفروع المختلفة للعلم لتخلص منها بالعموميات التي تربطها سويًّا وتشكل منها رؤية أكثر شمولا للواقع.().

يقوم مجتمع المعرفة على ثلاثة مرتكزات:

المرتكز الأول: توليد المعرفة : تُنْتَجُ المعرفةُ عن طريق التفاعل بين الحقائق، والأشياء المتاحة في الواقع، و عقل الإنسان وقدرته على التفكير والإبداع. وفي هذا السمت يرى بعضهم أنَّ " المعرفة إنجاز إدراكي".()

المرتكز الثاني: نشر المعرفة: تقتضي طبيعة المعرفة التحول والانتقال عبر المكان والزمان، وهذا يتماشى مع طبيعة الإنسان نفسه؛ إذْ إنَّ تنقل الإنسان يحتاج إلى المعرفة بشتى أنواعها. وعلى ذلك فإنَّ ضرورة اكتساب المعرفة بالنسبة للإنسان تُماثل ضرورة حصوله على الغذاء.

المرتكز الثالث: استخدام المعرفة: تأتي قوة المعرفة من القدرة على توظيفها، وتسيير استثمارها حسب متطلبات الحياة. ومما لا ريب فيه هو أنَّ للبيئة الحاضنة تأثيرًا كبيرًا في حيوية دورة المعرفة، و توليدها، ونشرها وتوظيفها.()

يتبدى لنا من هذه المرتكزات أنَّ مجتمع المعرفة يعد بيئة حاضنة، وملائمة للاكتشاف، والابتكار، والإبداع المتجدد والدائم ، والتفاعل المستمر بين القدرات، والخبرات والمهارات، وترقية استخدام وسائط أنظمة المعلومات والتكنولوجيات الذكية، وتنشيط فاعلية اللغات في إنتاج المعرفة، ونشرها، وتسويقها من حيث هي قيمة اقتصادية.

أمَّا تحديات مجتمع المعرفة: Knowledge Society Challenge /Défis de la société du savoir فهي تلك المتغيرات الطارئة في سيرورة مجتمع المعرفة، والمستجدات المتسارعة والكثيفة في تشكل الأنظمة الفاعلة التي ترافق مجتمع المعرفة؛ عالم الحوسبة والرقميات ، وتكنولوجيا المعلومات بجميع أنظمتها. وهو الأمر الذي يجعل المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية تتوخى المواكبة والمرافقة لتجاوز الإكراهات، والعقبات، واعتماد خيارات ناجعة لاحتواء منجزات مجتمع المعرفة، والاندماج في فضائه، والإسهام في إنتاج المعرفة، وتحويلها، وتوزيعها، وتعليمها. ()

وانطلاقًا من كل هذه المفاهيم التأسيسية للمتغيرات، والمستجدات، والتحديات التي أفرزها مجتمع المعرفة فإنَّ الانصراف إلى تهيئة اللغة العربية لتندمج بيسر في عالم إنتاج المعرفة كان من أجل إيجاد حيز لها، يمكن أنْ تحتله بكل أهلية وجدارة

واستحقاق؛ وهي مهيأة سلفًا لذلك و " مؤهلة ليس فقط لتلبية مطالب مجتمع المعرفة،بل أيضًا لتسهم بدور ريادي في مجال المعرفة اللغوية على النطاق الإنساني، وذلك بفضل ما تتسم به منظومتها من توازن دقيق على المستوى الفيلولوجي، وتوسطية لغوية فريدة ما بين لغات العالم المختلفة على مستوى الوحدات اللغوية المختلفة: حرفًا وصوتًا وتركيبًا ".()

وما يعزز هذا التصور هو أنَّ المسار الحضاري للغة العربية " ينبئ بوجود قدرات كامنة، ينبغي الآن إطلاقها بهدف اختراق الحواجز، وكسر العوائق التي عملت على تنميطها في قواعد مطلقة. وهذان الأمران، القدرات الذاتية للغة، وتقنيات مجتمع المعرفة يمنحان اللغة العربية فرصة لتجاوز الركود المهيمن عليها. وهما معًا في حاجة إلى إرادة واعية، ورؤية ملهمة واستراتيجية شاملة. وهذا شأن سياسي، كما أنَّه اختيار تقني يناط بأهل الاختصاص، من أجل وضع قواعد، وآليات جديدة تستجيب لاحتياجات عصر المعرفة. ولا ريب في أنَّ فرص النجاح ممكنة شريطة الاهتمام بمتطلبات العصر، وأسئلة التحول التي يطرحها مجتمع المعرفة ". ()

ولتحقيق ذلك كله فلا محيص من أنْ تنصرف الجهود والاهتمامات إلى تهيئة اللغة العربية لمرافقة التحولات التي يشهدها مجتمع المعرفة؛ لا بد من أنْ تتحقق هذه التعبئة بالسرعة الممكنة لتفادي اتساع الفجوة اللغوية التي تفصل بين العربية واللغات العالمية. ومما يسعفنا على التحكم في هذا الإصلاح الذي تحققه التهيئة اللغوية هو امتلاك الآليات الكافية التي توفرها تكنولوجيا المعلومات وحوسبة اللغة، باستخدام الوسائل المتاحة لحوسبة اللغة ورقمنتها. يتيح هذا الإجراء فرصًا عديدة لانتشال العربية من أزمتها الراهنة، واستعادة مجدها القديم، حتى تمارس دورها المحوري المنوط بها في لمّ الشمل العربي، وتقوية وشائج التماسك بين المجتمعات العربية، وبين فئات كل منها على حدة.()

وإذا أردنا أنْ نشخص واقع اللغة العربية في إطار الفجوة اللغوية بين العربية، واللغات العالمية لابد لنا من إجراء توصيف شامل لكل الفجوات المواكبة التي "تتناسل عن الفجوة الأم: فجوة التنظير اللساني، فجوة المعجم، فجوة تعليم اللغة وتعلمها، فجوة الاستخدام اللغوي، فجوة المعالجة الآلية للغة العربية، فجوات البنى التحتية، التي تتفرع بدورها إلى فجوة الموارد البشرية، وفجوة موارد

الملفوظات اللغوية، وفجوة التوثيق اللغوي".()

ثالثًا: اللغة العربية العالمة وإنتاج المعرفة :متغيرات ومسارات.

أضحت اللغة العالمة نسقًا ينتظم وفق آليات بناء داخلية وخارجية تجعله يختلف عن الأنساق اللغوية الأخرى من حيث الكفاية والأداء؛ فهو بنية قواعدية ومفاهيمية متجانسة؛ فاللغة العالمة نسق متجانس في بنيته، نسق دال، ناتج عن الكفاية العلمية، أي تلك القدرة العقلية التي تمتلكها الفئة العالمة التي تسمح لها بالاتصال في السياق العلمي والمعرفي المتخصص التي تنتمي إليه. هي لغة المصطلحات والمفاهيم لغة الاختصاص. ومن ثمة هي الوسيط لإنتاج المعرفة، والحامل المادي للعلوم والمعارف.() " ولذلك أمست اللغة العالمة معطى أساسًا من معطيات إنتاج المعرفة، والوسيط الجوهري في استخدامها، وانتشارها، وتوزيعها بين أهل الاختصاص؛ فهي حينئذ الحامل المادي للمعرفة والوسيط لتحويلها، ونقلها، ونشرها بين الثقافات والحضارات ". ()

تقترن اللغة العالمة بالمعرفة من حيث هي منجز عقلي تجريدي؛ إذ إنَّ المعرفة لا تكتسب شرعية الحضور في البناء الحضاري للإنسان، ولا ترتقي في ثقافة البشر إلا باتخاذها ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: تأسيس التمثل النظري، والإدراك المنهجي؛ فتأخذ المعرفة مكانتها ضمن سلسلة المنجزات العلمية للفكر الإنساني.

المسلك الثاني: تأسيس الجهاز المفاهيمي، والاصطلاحي؛ فتنحو التصورات العلمية نحو التجريد.

المسلك الثالث: تأسيس فلسفة المعرفة، عندما ينصرف المنظرون، والمفكرون إلى إعمال الفكر لمراجعة قواعد العلوم ومنطقها في ضوء نظرية المعرفة في أصولية العلوم.

ينماز المسلك الثاني دون سواه بظهور المعاجم المتخصصة لضبط الكفاية الاصطلاحية، وتلخيص المفاهيم والتصورات، الأمر الذي

يؤدي إلى اختزال العلم في وحدات لسانية، ومفاهيمية لتحقيق التواصل بين أهل الاختصاص، وإضفاء الشرعية على وجود اللغة العالمة، أو المتخصصة.()

وفي ظل هذا التوجه الجديد تتبدى كفاية اللغة العالمة في قدرتها على إنتاج المفاهيم والمصطلحات، والتفاعل الدائم مع المستجدات في مجال التكنولوجيا، والحوسبة، والرقميات، والتقانة الحديثة؛ فالرهان في الحياة الاجتماعية للغات قائم أساسًا على فاعلية اللغة، وتداولها في شبكات المعلومات الدولية؛ فاللغة التي تعجز عن مواكبة المتغيرات السريعة في عالم المعرفة مهددة بالتحييد من عالم اللغات المتجدد؛ فاللغة العربية مؤهلة لتجاوز هذا التحدي إذا توافرت السياسات اللغوية الرشيدة، والتخطيط الاستراتيجي المؤسسي المعزز بالدراسات الأكاديمية اللسانية التطبيقية، والدراسات السوسيو ـ لسانية .

و تكمن قدرة اللغة العالمة ومصداقيتها، وشرعيتها في المد الحضاري المستمر والدائم الذي يتبدى بالأساس في قابليتها للحوسبة، والرقمنة، والحضور الفعلي في المحتوى الرقمي المحلي، والإقليمي والعالمي؛لأنَّه" لا يمكن التعبير عن الأدوات التقنية إلا بلغة مؤهلة محوسبة (قابلة للتأرقمDigitisation) قادرة على استيعاب المعلومات، والمحافظة على مضمونها".()

ومن ههنا فإنَّ اللغة العالمة أمست وسيطًا مرافقًا لإنتاج المعرفة ونشرها، قد يصعب علينا امتلاك المعرفة، وإنتاجها وتحويلها بمعزل عن لغة وطنية عالمة مهيأة لتضطلع بدورها الحضاري في عالم المعرفة المتجدد باستمرار. ومن هنا أصبحت اللغة العالمة مكونًا أساسًا من مكونات الاقتصاد الجديد القائم على المعرفة؛() فإذا هي " صناعة وخبرة في حد ذاتها، اكتسبت وظيفة اقتصادية بجانب وظيفتها الثقافية والحضارية التي كانت تضطلع بها دائمًا". ()

ولتعزيز حضور اللغة العربية في عالم المعرفة المتغير لابد من تكوين ذخيرة، أو رصيد لغوي إلكتروني خاص باللغة العالمة (لغة المفاهيم العلمية والمصطلحات والتكنولوجيا). يشمل هذا الرصيد جميع القطاعات الاستراتيجية في المؤسسات العلمية، ويمكن إدراجه ضمن المحتوى الرقمي العربي، وتحديثه باستمرار ليرافق التحولات التي يشهدها مجتمع المعرفة بمتغيراته ومساراته، وبكل منظوماته

الاقتصادية، والتكنولوجية، والرقمية.

و أصفى صورة لحضور اللغة العربية في تشكل المنجز التكنولوجي والرقمي لمجتمع المعرفة هو قدرتها على احتواء المحتوى الرقمي العربي، وتفعيله، وتحديثه باستمرار. ويقصد بالمحتوى الرقمي العربي تلك المضامين، والنصوص المحوسبة، والمرقمنة المنشورة في الأنظمة المعلوماتية.() " ويشمل كذلك الواجهات المعرّبة للبرمجيات، كبرمجيات معالجة النصوص، وبرامج التعرف على الكتابة والصوت، وقواعد البيانات، ومحركات البحث والترجمة". () ويعد المحتوى الرقمي العربي متواضعًا إلى حد كبير مقارنة بعدد من ينطقون باللغة العربية، وبعدد من يستخدمون الحاسوب في المنطقة العربية. ()

ويعد المحتوى الرقمي العربي(Contenu numérique arabe /Arabic digital content وسيلة هامة ومتاحة لنقل المعرفة والثقافة، ونشرها، والتواصل الاجتماعي بين الناطقين باللسان العربي في العالم؛ فيسهم في تعميق المعرفة، وتوسيع نطاقها، وتدوينها، وتوثيقها . ويشهد المحتوى الرقمي العربي تطورًا ونموًا وثراءً ملحوظًا في السنوات الأخيرة، حيث يعمل العديد من المنشغلين بصناعة المحتوى في العالم العربي على إنتاج محتوى ذي جودة عالية، ومتنوعة من حيث الآليات، والوسائط، والمضامين المعرفية والثقافية التي ترقى باللغة العربية إلى مستوى العالمية.

ويظل الاهتمام الدائم بتحديث المحتوى الرقمي العربي مطلبًا حضاريًّا سيسهم لامحالة في إنتاج المعرفة، وتسويقها، والترويج لها. ويسهم كذلك في ترقية اللغة العربية العالمة، لكي تواكب التحولات المتسارعة التي تشهدها المنظومة الاقتصادية، والتكنولوجية، والتقنية التي يقتضيها عالم الحوسبة، والرقميات، وأنظمة المعلومات، والذكاء الاصطناعي في المشروع النهضوي لمجتمع المعرفة في العالم العربي.

لقد انصرفت الجهود مع بداية الألفية الثالثة نحو ترقية اللغة العربية لتجد مكانتها بين اللغات العالمية باستخدامها في العلوم والتكنولوجيا، وإنتاج المعرفة، وحوسبتها، ورقمنتها. وعلى الرغم من ذلك هناك تحديات كبيرة تواجه اللغة العربية على مستوى المعارف المتقدمة، وأنظمة المعلومات، والتكنولوجيات الذكية، والبرمجة الآلية للغات؛ فالجهود مستمرة لتذليل الصعوبات، وتجاوز

المعوقات، وتوفير الآليات، واتخاذ جميع الوسائط المتاحة لإدماج اللغة العربية في عالم المعرفة المستدامة.

نتائج البحث وتوصياته:

يمكن لنا في نهاية هذه المداخلة أنْ نورد بعض النتائج والتوصيات التي يمكن لها أنْ تمهد السبيل لوضع خطة آنية واستشرافية لترقية اللغة العربية العالمة لتواكب المتغيرات التي يشهدها عالم المعرفة:

أولا: نتائج ومرتكزات:

- لا يختزل مجتمع المعرفة بمنحاه الاقتصادي المعرفي الجديد في احتواء أنساق أنظمة المعلومات، وتوظيفها برتابة قارة وثابتة، بل ينصرف أكثر إلى تنمية المهارات و القدرات لإنتاج المعرفة، وتحويلها، وتسويقها، والترويج لها؛ فتستحيل المعرفة، عندئذ، إلى مصدر اقتصادي يضفي على المجتمع طابعه المتميز.
- أصبحت المعرفة في ظل هذه المتغيرات الجديدة صناعة قابلة للإنتاج، والتحويل، والترويج. باعتماد جميع الأنظمة المعلوماتية والوسائط الرقمية المتاحة، وبمرافقة النظام اللغوي.
- يتيح تدخل الإنسان لتهيئة اللغة والتخطيط لها فرصًا لترقية اللغة العربية والسير بها نحو الأفضل لاحتواء المنجز الفكري لعالم المعرفة المتغير.
- تقتضي التهيئة اللغوية امتلاك الآليات الكافية التي توفرها تكنولوجيا المعلومات، وحوسبة اللغة، باستخدام الوسائل المتاحة لحوسبة اللغة، ورقمنتها.
- تعد اللغة في ظل المتغيرات التي يشهدها عالم المعرفة عاملاً أساسًا في إنتاج المعرفة، وتحويلها، وتسويقها، والترويج لها، باتخاذ جميع الوسائط الفاعلة، والمتاحة في ظل تطور الأنظمة السمعية البصرية، والحوسبة، والرقميات، وتكنولوجيا المعلومات

بجميع أنساقها، وأنظمتها،وآلياتها، ومنجزاتها الفكرية، والمعرفية.

- يتجلى حضور اللغة العربية في تشكل مجتمع المعرفة في العالم العربي في قدرتها على مواكبة منجزاته العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية، ولا يمكن أنْ يتحقق ذلك إلا بترقية التهيئة اللغوية، وتوجيه البحث العلمي الأكاديمي وفق استراتيجية فاعلة تتبناها المؤسسات العلمية، والهيئات الفاعلة لجعل اللغة العربية قادرة على احتواء المنجز الرقمي، والتكنولوجي، والتقني، والمعلوماتي لمجتمع المعرفة.

ثانيًا: توصيات و مسارات:

– ضرورة التنسيق الممنهج بين الهيئات والمؤسسات الأكاديمية العربية لتبني مشروع نهضوي عربي مشترك يعمل على النهوض باللغة العربية العالمة، والسير بها نحو الأفضل لتحتوي بكل يسر منجزات عالم المعرفة المتغير في ظل التحولات التي يشهدها مجتمع المعرفة.

– تهيئة جميع الظروف المواتية للاضطلاع بدراسات جادة مؤسسية وممنهجة، لتشخيص الواقع اللغوي العربي، والسعي إلى ترقية اللغة العربية، والتخطيط لها لتجد لها حيزًا بين اللغات العالمية يمكن لها أنْ تحتله بكل أهلية وجدارة واستحقاق.

– تأهيل اللغة العربية للتحكم في المفاهيم والمصطلحات التقنية، ومرافقة أنظمة المعلومات، وآليات الأنساق السمعية البصرية، والحوسبة، والرقميات، والتكنولوجيات الذكية.

– ترقية التهيئة اللغوية، واعتماد التخطيط اللغوي، وتنمية السياسة اللغوية الرشيدة، وتوجيه البحث العلمي الأكاديمي وفق استراتيجيات وخطط آنية واستشرافية لتعزيز حضور اللغة العربية في عالم التكنولوجيات وأنظمة المعلومات والرقميات.

– إثراء المحتوى الرقمي العربي، وتفعيله، وتحديثه، وتحيينه باستمرار ليعزز حضور اللغة العربية العالمة في عالم المعرفة، ويسهم في ترقيتها، لترافق المتغيرات المتسارعة التي تشهدها المنظومة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية في المشروع التقني والرقمي

لمجتمع المعرفة.

- إنشاء بنك إلكتروني عربي على شكل ذخيرة، أو رصيد لغوي إلكتروني يشمل المصطلحات والمفاهيم العلمية والتكنولوجية والتقنية. يمكن لهذا البنك أنْ يدرج ضمن مشروع الذخيرة العربية.

- السعي إلى تطوير تعليمية اللغة العربية للناطقين بها، وللناطقين بغيرها باستثمار جميع وسائل تكنولوجيا التعليم الموسعة وروافده وآلياته ، بما فيها أنظمة السمعي البصري والحوسبة والرقميات، للاندماج في فضاء التعليم الإلكتروني.

هوامش البحث: